الوليد بن عبد الملك

أعلام الخلفاء
الأمويين

الوليد بن عبد الملك

هو أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، الدمشقي بويع بعهد من أبيه، كان نهمته في البناء، أنشأ جامع بني أمية وأنشأ أيضا- مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وزخرفه ورزق في دولته سعادة، ففتح بوابة الأندلس، وبلاد الترك، وغزا الروم مرات في دولة أبيه، وحج وقيل كان يختم في كل ثلاث، وختم في رمضان سبعة عشرة ختمة، وكان يقول: لولا أن الله ذكر قوم لوط ما شعرت أن أحدا- يفعل ذلك. وكان فيه عسف وجبروت. وقيام بأمر الخلافة، وقد فرض للفقهاء والأيتام والزّمنى والضعفاء وضبط الأمور[1].

كان الوليد بن عبد الملك من أشهر خلفاء بني أمية وهو أكثرهم عناية بالبناء والعمران حتى لقب مهندس بني أمية، وأراد الوليد أن يبني المسجد النبوي ويشيده بما يليق به وبعظمة الخلافة في عهده، فصمم على تنفيذ ذلك المشروع وهو توسعة المسجد النبوي، وأدخل حجر أمهات المؤمنين وحجرة فاطمة وحجرة عائشة رضي الله عنهن جميعا- في المسجد إضافة إلى أن المؤرخين قد ذكروا أن بعض جدران الحجرة قد بدأ فيه الخلل نتيجة القدم، وعندما وصل خطابه بذلك إلى واليه على المدينة عمر بن عبد العزيز جمع الفقهاء ووجوه الناس وأخبرهم بما أمر به الوليد فأنكروا ذلك وكرهوه ورأوا أن بقاء بيوت النبي صلى الله عليه وسلم على حالها أدعى للعبرة والاتعاظ، وقد قال الفقهاء: هذه حجر قصيرة السقوف وسقوفها من جريد النخل وحيطانها من اللبن وعلى أبوابها المسوح وتركها على حالها أولى، ينظر فيها الحجاج والزوار والمسافرون إلى بيوت النبي صلى الله

(1) سير أعلام النبلاء، 348/4، 349.

عليه وسلم فينتفعوا بذلك ويعتبر به، ويكون ذلك أدعى لهم إلى الزهد في الدنيا، فلا يعمرون فيها إلا بقدر الحاجة، وهو ما يستر ويكن، ويعرفون أن هذا البنيان العالي إنما من أفعال الفراعنة والأكاسرة، وكل طويل الأمل راغب في الدنيا وفي الخلود فيها. فعند ذلك كتب عمر بن عبد العزيز إلى الوليد بما أجمع عليه الفقهاء، فأرسل إليه يأمره بتجديد البناء، كما أراد الوليد، وقد كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز أن يحفر الفوارة بالمدينة، وأن يجري مائها ففعل، وأمره أن يحفر الآبار وأن يسهل الطرق والثنايا، وساق إلى الفوارة الماء من ظاهر المدينة، والفوارة بنيت في ظاهر المسجد عند بقعة رآها فأعجبته[1].

ومن مآثر الوليد بن عبد الملك بناء المسجد الأموي، قال ابن كثير في حوادث عام 96هـ: فيها تكامل بناء الجامع الأموي بدمشق على يد بانيه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان، جزاه الله عن المسلمين خير الجزاء وكان أصل موضع هذا الجامع قديما- معبدا- بنته اليونان الكلدانيون الذين كانوا يعمرون دمشق، وهم الذين وضعوها وعمروها أولا-.. ثم - إن النصارى حولوا بناء هذا المعبد الذي هو بدمشق معظما- عند اليونان، فجعلوه كنيسة واستمر النصارى على دينهم هذا بدمشق وغيرها نحو ثلاثمائة سنة حتى - جاء الإسلام - وعندما صارت الخلافة إلى الوليد عزم على تحويلها إلى مسجد، بعد أن تفاوض مع النصارى وقام بترضيتهم مقابل عروض مغرية. ثم أمر الوليد باحضار آلات الهدم واجتمع إليه الأمراء والكبراء من رؤساء الناس وجاء إليه أساقفة النصارى وقساوستهم، فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن نجد في كتبنا أن من يهدم

(1) البداية والنهاية، 415/12.

هذه الكنيسة يجن. فقال: أنا أحب أن أجن في الله عز وجل والله لا يهدم فيها أحد شيئا- قبلي، ثم صعد المنارة ثم إلى أعلى مكان من الكنيسة وضرب بها في أعلى حجر فألقاه، فتبادر الأمراء إلى الهدم، فهدم الوليد والأمراء جميع ما جدده النصارى في تربيع هذا المكان من المذابح والأبنية.. ثم شرع في بنائه وقد استعمل الوليد في بناء هذا المسجد خلقا- كثير من الصناع والمهندسين والفعلة، وكان المستحث على عمارته أخوه، وولي عهده من بعده سليمان بن عبد الملك، وقد أنفق في مسجد دمشق أربعمائة صندوق في كل صندوق أربعة عشر ألف دينار وفي رواية: في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار. قلت فعلى الأول يكون ذلك خمسة آلاف وألف دينار وستمائة ألف دينار، وعلى الثاني يكون المصروف في عمارة الجامع الأموي أحد عشر ألف ألف دينار، ومائتي ألف دينار.

وقد نقل إلى الوليد بأن الناس يقولون أنفق الوليد أموال بيت المال في غير حقها فنودي في الناس: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فصعد الوليد المنبر وقال: إنه بلغني عنكم إنكم قلتم: أنفق الوليد بيوت الأموال في غير حقها. ثم قال: يا عمر بن مهاجر، قم فاحضر أموال بيت المال، فحملت على البغال إلى الجامع وبسطت الأنطاع تحت القبة ثم أفرغ عليها المال ذهبا- صبيبا- وفضة خالصة حتى صارت كوما- حتى كان الرجل لا يرى الرجل من الجانب الآخر وهذا شيء كثير، فوزنت الأموال، فإذا هي تكفي الناس ثلاث سنين مستقبلة، وفي رواية: ستة عشرة سنة مستقبلة ولو لم يدخل للناس شيء بالكلية - ففرح الناس وكبروا وحمدوا الله عز وجل على ذلك، ثم قال الوليد: يا أهل دمشق إنكم تفخرون على الناس بأربع: بهوائكم ومائكم، وفاكهتكم، وحماماتكم، فأحببت أن أزيدكم خامسة وهي هذا الجامع

فاحمدوا الله تعالى. وانصرفوا شاكرين داعين. وقد كان الجامع الأموي لما كمل بناؤه لم يكن على وجه الأرض بناء أحسن منه، ولا أبهى ولا أجل منه، بحيث أنه إذا نظر الناظر إليه، أو إلى أي جهة منه، أو إلى أي بقعة أو مكان منه، تحير فيما ينظر إليه لحسنه جميعه، ولا يمل ناظره، بل كلما أدمن النظر، بانت له أعجوبة ليست كالأخرى[1].

كما أن الوليد كان أول من أسس مستشفى خاصا- بالمجذومين وذلك سنة 88هـ، وجعل فيه أطباء مهرة، وأجرى عليهم الأرزاق، وأمر بعزلهم عن الأصحاء كي لا تنتقل العدوى من المصابين إلى الأصحاء، وهذا ما يعرف في التاريخ بدور المجذومين. و كان الوليد يخصص الأرزاق للفقهاء والضعفاء والفقراء ويحرم عليهم سؤال الناس، ويفرض لهم ما يكفيهم كما فرض على العميان والمجذومين، فقد أعطى المجذومين وقال: لا تسألوا الناس وأعطى كل مقعد خادما- وكل ضرير قائدا- وفتح في ولايته فتوح عظام، وقد اهتم الوليد بتعبيد الطرق وبخاصة تلك التي تؤدي إلى الحجاز لتيسير سفر الحُجاج إلى بيت الله الحرام، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز في تسهيل الثنايا وحفر الآبار وعمل الفوارة في المدينة وأمر لها بقوام يقومون عليها وأن يسقى منها أهل المساجد[2].

وقد شب الوليد على حب القرآن الكريم والاكثار من تلاوته وحث الناس على حفظه وإجازتهم على ذلك، فقد حدث إبراهيم بن أبي عبلة قال: قال لي: الوليد بن عبد الملك يوما- في كم تختم القرآن؟ قالت: كذا وكذا، فقال: أمير المؤمنين على شغله يختمه في ثلاث - وقيل في سبع

(1) البداية والنهاية، 576/12 - 579.
(2) البداية والنهاية، 609/12، تاريخ الطبري، 337/7.

- قال: وكان يقرأ في شهر رمضان سبعة شعرة ختمة، قال إبراهيم: رحم الله الوليد، وأين مثله؟ بنى مسجد دمشق، وكان يعطيني قطع الفضة، فأقسمها على قرّاء بيت المقدس[1].

وكانت وفاة الوليد يوم السبت في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين، بعد أن ملك عشر سنين إلا شهرا-، وتوفي وهو ابن خمس وأربعين سنة وقيل وهو ابن اثنتين وأربعين سنة وأشهر وقيل سبع وأربعين سنة، و صلى عليه عمر بن عبد العزيز وكان له: تسعة عشر ابنا- [2].

مواقف من حياته:

لأن يخلو بك ملك الموت أحب إليّ من أن يخلو بك الحجاج:

قال زهير بن حسن مولى الربيع بن يونس قدم الحجاج على الوليد ابن عبد الملك فصلى عنده ركعتين وركب الوليد فمشى الحجاج بين يديه فقال له الوليد اركب يا أبا محمد فقال يا أمير المؤمنين دعني أستكثر من الجهاد فإن ابن الزبير وابن الأشعث شغلاني عن الجهاد زمنا- طويلا- فعزم عليه الوليد أن يركب ودخل فركب مع الوليد فبينا هو يتحدث ويقول ما فعلت بأهل العراق وفعلت أقبلت جارية فنادت الوليد ثم انصرفت فقال الوليد يا أبا محمد أتدري ما قالت الجارية قال لا قال قالت أرسلتني إليك أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان أن مجالستك هذا الأعرابي وهو في سلاحه وأنت في غلالة غرر فأرسلت إليها أنه الحجاج بن يوسف فراعها ذلك وقالت والله لأن يخلو بك ملك الموت أحب إليّ من أن يخلو بك الحجاج وقد قتل أحباء الله له وأهل طاعته ظلما- وعدوانا- فقال الحجاج يا أمير المؤمنين إنما

(1) البداية والنهاية، 607/12.
(2) تاريخ الطبري، 396/7.

المرأة ريحانة وليست بقهرمانة لا تطلعهن على سرك ولا تستعملهن بأكثر من وثبهن ولا تكثرن مجالستهن صغارا- وذلام ثم نهض فخرج ودخل الوليد على أم البنين فأخبرها بمقالته فقالت إني أحب أن تأمره بالتسليم علي فسيبلغك بالذي يكون بيني وبينه فغدا الحجاج على الوليد فقال الوليد ائت أم البنين فقال اعفني يا أمير المؤمنين قال فلتفعلن فأتاها فحجبته طويلا- ثم أذنت له ثم قالت له يا حجاج أنت تفتخر على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الأشعث أما والله لولا أن الله علم أنك أهون خلقه عليه ما ابتلاك بقتل ابن ذات النطاقين ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن الأشعث فلعمري لقد استعلى عليك حتى عجعجت ووالى عليك الهرار حتى عويت فلولا أن أمير المؤمنين نادى في أهل اليمن وأنت في أضيق من القرن فأظلتك رماحهم وعلاك كفاحهم لكنت مأسورا- قد أخذ الذي فيه عيناك وعلى هذا فإن نساء أمير المؤمنين قد نفضن العطر عن غدائرهن وبعنه في أعطية أوليائه وإماما- أشرت على أمير المؤمنين من قطع لذاته وبلوغ أوطاره من نسائه فإن يكن إنما ينفرجن عن مثل أمير المؤمنين فغير مجيبك إلى ذلك وإن كن ينفرجن عن مثل ما انفرجت به أمك البظراء عنك من ضعف الغريزية وقبح المنظر في الخلق والخلق يالكع فما أحقه أن يقتدي بقولك قاتل الله الذي يقول:

أسد علي وفي الحروب نعامة ... فتخاء تنفر من صفير الصافر
هلا برزت إلى غزالة في ... أو قد كان قلبك في جناحي
الوغى ... طائر

ثم أمرت جارية لها فأخرجته فلما دخل على الوليد قال ما كنت فيه يا أبا محمد فقال والله يا أمير المؤمنين ما سكتت حتى كان بطن

الأرض أحب إلى من ظهرها قال إنها بنت عبد العزيز [1].

الوليد بن عبد الملك يسأل عمر عن سبب الأثر الذي في منكبه:

عن السعدي قال قدم الوليد بن عبد الملك مكة فأراد أن يأتي الطائف فقال: هل لي في رجل علم بأموال الطائف فيخبرني عنها فقالوا عمر بن أبي ربيعة قال لا حاجة لي به ثم عاد فسأل فذكروه له فرده ثم عاد فسأل فذكروه له ثم رده ثم عاد فسأل فذكروه له فقال هاتوه فركب معه يحدثه ثم حرك عمر رداءه ليصلحه على كتفه فرأى على منكبه أثرا فقال ما هذا الأثر فقال كنت عند جارية إذ جاءتني جارية برسالة من عند جارية أخرى فجعلت تسارني فغارت التي كنت أحدثها فعضت منكبي فما وجدت ألم عضها من لذة ما كانت تلك تنفث في أذني حتى بلغت ما ترى والوليد يضحك فلما رجع عمر قيل له ما الذي كنت تضحك أمير المؤمنين به فقال ما زلنا في حديث الزنا حتى رجعنا [2].

أعرج من أهل الجنة:

قال أبو الحسن: رأى الوليد بن عبد الملك في المنام أن رجلا- من أهل الأندلس أعرج يكنى أبا عبد الرحمن من أهل الجنة يفتح الله على يديه المغرب، فكتب إليه موسى بن نصير: أنام الله عينك يا أمير المؤمنين، أنا أبو عبد الرحمن وأنا موسى بن نصير وأنا أعرج وأنا بالأندلس، فكتب إليه الوليد: أنت موسى بن نصير من أهل كفر هندا ولست به، فاطلب إلى الرجل الغربي الذي وصفت لك ثم احمله إلي،

(1) ابن الجوزي، الأذكياء، ص 101.
(2) أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: سمير جابر، الطبعة الثانية، دار الفكر - بيروت، 1 / 121.

فسأل عنه بعد ذلك فإذا كما وصف، وإذا هو عبد الله فحمله إليه [1].

فخاف المريب صولة العقاب:

كتب الوليد بن عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف يأمره أن يكتب إليه بسيرته. فكتب إليه: إني أيقظت رأيي وأنمت هواي، فأدنيت السيد المطاع في قومه، ووليت الحرب الحازم في أمره، وقلدت الخراج الموفر لأمانته. وقسمت لكل خصم من نفسي قسما-، أعطيه حظا- من لطيف عنايتي ونظري. وصرفت السيف إلى النطف المسيء، والثواب إلى المحسن البريء، فخاف المريب صولة العقاب، وتمسك المحسن بحظه من الثواب.

يا أبت ما السياسة؟

وقال الوليد بن عبد الملك لأبيه: يا أبت ما السياسة؟ قال: هيبة الخاصة مع صدق مودتها، واقتياد قلوب العامة بالإنصاف لها، واحتمال هفوات الصنائع.

إن الوقت لا ينتظرك، وإن الرب لا يعذرك:

قال المدائني: جلس الوليد بن عبد الملك على المنبر يوم الجمعة حتى اصفرت الشمس، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إن الوقت لا ينتظرك، وإن الرب لا يعذرك. قال صدقت: ومن قال مثل مقالتك، فلا ينبغي له أن يقوم مثل مقامك. من ها هنا من أقرب الحرس يقوم إليه فيضرب عنقه؟

إن الناس ليغووننا عن ديننا:

دخل الزهري على الوليد بن عبد الملك، فقال له: ما حديث يحدثنا

(1) الجاحظ، البرصان والعرجان، ص25.

به أهل الشام؟ قال: يحدثوننا أن الله إذا استرعى عبدا- رعيته كتب له الحسنات ولم يكتب له السيئات. قال: باطل يا أمير المؤمنين، أنبي خليفة أكرم على الله أم خليعة غير نبي؟ قل: بل نبي خليفة. قال: فإن الله تعالى يقول لنبيه داود عليه السلام: {ئېئبئېئىئدىىيي □} [ص: ٢٦]. فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبي خليفة، فما ظنك بخليفة غير نبي؟ قال: إن الناس ليغووننا عن ديننا.

أو كذبت؟

عن عطاء بن يسار، قال: قلت للوليد بن عبد الملك: قال عمر بن الخطاب: وددت أني خرجت من هذا الأمر كفافا- لا علي ولا لي. فقال: كذبت. فقلت: أو كذبت؟ فما أفلت بجريعة الذقن.

للأمير عندي نصيحة؟

ودخل رجلٌ على الوليد بن عبد الملك، وهو والي دِمشق لأبيه، فقال: للأمير عندي نصيحة؟ فقال: إن كانت لنا فاذكُرْها، وإن كانت لِغَيرنا فلا حاجةَ لنا فيها؟ قال: جارٌ لي عَصىَ وفَرَّ مِنْ بَعْثه؛ قال: أما أنت فتُخبِر أنَّك جارُ سَوْء، وإن شئتَ أرْسلنا معك، فإن كنتَ صادقا- أقصَيناك، وإن كنتَ كاذبا- عاقبناك، وإن شئتَ تارَكناك، قال: تَارِكْني.

يا شيخُ، تحِبُّ المَوْت؟

ودخل الوليدُ بن عبد الملك المسجدَ، فَخَرَج كلّ- من كان فيه إلاّ شيخا- قد حَنَاه الكِبَر، فأرادوا أن يُخْرِجُوه، فأشار إليهم أن دَعُوا الشيخ؟ ثم مضىَ حتى وَقف عليه، فقال له: يا شيخُ، تحِبُّ المَوْت؟

قال: لا يا أميرَ المؤمنين، ذَهَبَ الشَّبَاب وشَرُّه، وَأتى الكِبر وخيْرُه، فإذا قمتُ حَمِدْتُ الله، وإذا قعدتُ ذكرتُه، فأنا أُحِب أن تَدُوم لي هاتان الخَلَّتان.

خطبة الوليد بن عبد الملك:

لما مات عبد الملك بن مروان ورجع الوليد من دَفنه، لم يدخل منزله حتى دخل المسجدَ، ونُودي في الناس: الصلاةُ جامعة. فَصَعِد المِنْبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنه لا مُؤَخِّر لما قَدّمَ الله، ولا مُقَدِّم لما آخر- الله، وقد كان من قضاء الله وسابق عِلْمه، وما كَتب على أنبيائه، وحَمَلَة عرْشِه من الموت، مَوْتُ وليّ هذه الأمَّة، ونحن نرجو أنْ يصيرَ إلى منازل الأبرار، للذي كان عليه من الشدّة على المُريب، واللِّين على أهل الفَضْل والدِّين، مع ما أقام من مَنار الإسلام وأعلاَمِه، وحَجَ هذا البيت، وغَزْو هذه الثغور، وشَنّ الغارات على أعداء الله، فلم يكن فيها عاجزا-، ولا وانيا-، ولا مُفَرِّطا-. فعليكم أيها الناس بالطاعة، ولزوم الجماعة، فإنّ الشيطان مع الفَذّ، وهو من الجماعة أبعد. واعلموا أنه من أبْدَى لنا ذاتَ نَفسه ضَرَبْنا الذي فيه عيناه، ومَن سكت مات بدائه. ثم نزل.

لأجمعن المال جَمْع مَن يعيش أبدا-:

كتب الحجاج إلي الوليد بن عبد الملك لا بلاغه أنه خَرق فيما خَلّف له عبد الملك، يُنكر ذلك عليه ويُعرِّفه أنه على، غير صواب، فوقَّع في كتابه: لأجمعن المال جَمْع مَن يعيش أبدا-، ولا فرقنَّه تفريق مَن يموت غدا. ووقع إلى عمر بن عبد العزيز: قد رَأب الله بك الداء، وأوْذم بك السقاء.

أولستَ تعلم ذلك؟

قال الهيثم بن عَدِيّ: دخل رجل من أصحاب الوليد بن عبد الملك عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، لقد رأيتُ ببابك جماعة- من الشعراء لا أحسبُهم اجتمعوا بباب أحد من الخلفاء، فلو أذنتَ لهم حتى يُنشدوكَ؟ فأذن لهم فأَنشدوه وكان فيهم الفرزدق، وجرير، والأخطل، والأشهب ابن رُميلة. وترك البَعِيث فلم يأذن له. فقال الرجل المُستأذن لهم: لو أذنتَ للبَعِيث يا أمير المؤمنين، إنه لشاعر. فقال: إنه ليس كهؤلاء إنما قال من الشعر يسيرا-. قال: والله يا أمير المؤمنين إنه لشاعر. فأَذِن له فلما مَثَل بين يديه، قال: يا أمير المؤمنين، إن هؤلاء ومَن ببابك قد ظَنّوا أنك إنما أذنتَ لهم دوني لفَضل لهم عليّ. قال: أولستَ تعلم ذلك؟ قال: لا والله، ولا علّمه الله لي. قال: فأنشِدْني من شعرك. قال: أمَا والله حتى أنشدك من شعر كُل رجل منهم ما يَفضحه فأقبل على الفرزدق، فقال: قال هذا للشيخُ الأحمق لعبد بني كُليب:

بأيّ رِشاءٍ يا جريرُ وماتحٍ ⁝ تدلّيت في حَوْمات تلك القَماقِم

فجعله يتدلّى عليه وعلى قومه من عَلُ، وإنما يأتيه من تحته لو كان يَعقلُ. وقد قال هذا، كَلبُ بني كُليب:

لَقومِيَ أحَمى للحقيقة منكُم ⁝ وأضربُ للجَبَّار والنقعُ ساطع
وأوثَقُ عند المُرْدفات عشيّة ⁝ لَحَاقا- إذا ما جَرَّد السيفَ لامِع

فجعل نساءه لا يثقْنَ بلَحاقه إلا عشيَّة، وقد نُكحن وفُضحن.

وقال هذا النصراني، ومدح رجلا- يسمى قَينا- فهجاه، ولم يشعر، فقال:

قد كُنت أحسبه قينا- وأُنبؤه ⁝ فالآن طُيّر عن أثوابه الشَّررُ

وقال ابن رُميلة ودَفع أخاه إلى مالك بن رِبْعيّ بن سَلْميّ فقُتل،

فقال:

مَدَدنا وكان ضَلةَ من حلومنا بَثدّيٍ إلى أولاد ضَمرة أقطعا

فمن يرجو خيرَه وقد فعل بأخيه ما فَعل. فجعل الوليدُ يُعْجب من حفظه لمثالب القوم وقُوة قلبه، وقال له: قد كشفتَ عن مساوئ القوم، فأنشدني من شعرك. فأنشده فاستحسن قولَه ووصَله وأجزل له.

الله أعلم حيث يجعل رسالته:

كان عند الوليد بن عبد الملك أربع عقائل [1]: لبابة بنت عبد الله بن عباس، وفاطمة بنت يزيد بن معاوية، وزينب بنت سعيد بن العاص، وأم جحش بنت عبد الرحمن بن الحارث، فكن يجتمعن على مائدته ويفترقن فيفخرن. فاجتمعن يوما، فقالت لبابة: أما والله إنك لتسويني بهن، وإنك تعرف فضلي عليهن. وقالت بنت سعيد: ما كنت أرى أن للفخر علي مجازا، وأنا ابنة ذي العمامة إذ لا عمامة غيرها. وقالت بنت عبد الرحمن بن الحارث: ما أحب بأبي بدلا، ولو شئت لقلت فصدقت وصدقت. وكانت بنت يزيد بن معاوية جارية حديثة السن فلم تتكلم. فتكلم عنها الوليد، فقال: نطق من احتاج إلى نفسه وسكت من اكتفى بغيره. أما والله لو شاءت لقالت: أنا ابنة قادتكم في الجاهلية، وخلفائكم في الإسلام. فظهر الحديث حتى تحدث به في مجلس ابن عباس، فقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته [2].

لا أصلي بالناس حتى أتعلمه:

وكان الوليد بن عبد الملك لحّانة فدخل عليه أعرابي فقال: من

(1) جمْع عَقِيلة وهي في الأصل: المرأة الكريمة النفيسة. إنما سمِّيت عقيلةً لأنها عَقَلت صواحبَها عن أن يبلُغْنها. وقال الخليل: بل معناه عُقِلت في خدرها. قال امرؤ القيس:

عقيلة أخدانٍ لها لا دميمةٌ ::: ولا ذات خُلْقٍ أن تأمَّلْتَ جَأْنَبِ

(2) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 5، 6، 15، 18، 197، 325، 5/2، 55، 217، 341، 430.

ختنَك؟ قال: رجل من الحي لا أعرف اسمه. فقال عمر بن عبد العزيز: إن أمير المؤمنين يقول: من ختنُك؟ فقال: ها هوذا بالباب. فقال الوليد لعمر: ما هذا؟ فقال: النحو الذي كنت أخبرك عنه. فقال: لاجـــــــــــــــــــــــــــــرم
لا أصلي بالناس حتى أتعلمه.

محاسم المكاتبات:

وقال كعب العبسي لعروة بن الزبير: قد أذنبت ذنبا- إلى الوليد بن عبد الملك وليس يزيل غضبه شيء فاكتب إليه. فكتب: لو لم يكن لكعب من قديم حرمته ما يغفر له عظيم جريرته لوجب أن لا تحرمه التفيؤ بظل عفوك الذي تأمله القلوب، ولا تعلق به الذنوب وقد استشفع بي إليك فوثقت له منك بعفو لا يخلطه سخط، فحقق أمله فيّ وصدق ثقتي بك مغتنما- للشكر مبتدئا- بالنعمة. فكتب إليه الوليد: قد شكرت رغبته إليك وعفوت عنه لمعوله عليك، وله عندي الذي تحب إن لم تقطع كتبك عني في أمثاله وفي سائر أمورك.

وأنت شرّ الثلاثة:

وحدث إسماعيل بن أبي خالد قال: أُتي الوليد بن عبد الملك برجل من الخوارج وعنده عمر بن عبد العزيز وخالد بن الريان فقال له الوليد: ما تقول في أبي بكر؟ قال: صاحب نبي الله في الغار وثاني اثنين رحمه الله وغفر له. قال: فما تقول: في عمر؟ قال: هو الفاروق رحمه الله وغفر له. قال: فما تقول في عثمان؟ قال: كان سنياتٍ من خلافته ملازما- للعدل. قال: فما تقول في مروان بن الحكم؟ قال: لعن الله ذاك. قال: فما تقول في عبد الملك؟ قال: ذلك ابن ذاك لعن الله ذاك. قال: فما تقول فيّ؟ قال: بنيّ ذينك وأنت شرّ الثلاثة. فقال: يا عمر ما تقول فيما تسمع؟ قال: يا أمير المؤمنين ما أحد أعلم بهذا منك وأنت

أعلى به عينا- فألحّ عليه والله لتقولنّ، فقال: أما إذا أبيت يا أمير المؤمنين إلا أن أقول فسبّ إياه كما سب إياك وأن تعفو أقرب للتقوى. قال: ليس إلا هذا. قال: لا يا أمير المؤمنين إلا أن تدخلك جبرية، فأما الحق فليس إلا هذا.

فالتفت إلى خالد بن الريان وهو قائم على رأسه ثم قام وهو غضبان. فقال خالد: والله يا عمر لقد نظر إليّ أمير المؤمنين نظرة ظننت أنه سيأمرني بضرب عنقك. قال: ولو أمرك كنت تفعل؟ قال: إي والله. قال: أما إنه كان يكون شرا- لكما وخيرا- لي.

ثم سكت عنه وبقي ذلك في قلبه، فلما قام الوليد من مجلسه دخل على امرأته أم البنين بنت عبد العزيز وهي أخت عمر فقال: أخوك الحروري والله لأقتلنه.

فمكث أياما- وعمر في منزله لا يحضر الباب ولا يلتمس المعذرة، فأتاه رسول الوليد وقت القائلة فدعاه، فلما دخل من باب القصر عدل به إلى بيتٍ فأدخل فيه وطيّن عليه الباب. فرجع صاحب دابته إلى أهله فأخبرهم فأخبروا أخته بذلك فبحثت عن خبره فلم تجد أحدا- يخبرها بخبره وذلك يوم الثالث. فقيل لها: إن فلانا- الخصي يعلم علمه. فأرسلت إليه فأعلمها بموضعه. فدخلت على الوليد فناشدته الله والرحم وقبّلت يده. فقال: قد وهبته لك إن أدركته حيا- قال. ففتحوا عنه الباب فوجدوه قد انثنى عنقه فحملوه إلى منزله وعالجوه.

فلما توفي الوليد وكان سليمان بعده فهلك وتولى عمر الخلافة جاء خالد بن الريان في اليوم الذي استخلف فيه عمر، رحمه الله، متقلدا- سيفه، فقال له عمر: يا خالد انطلق بسيفك هذا فضعه في بيتك واقعد فيه فإنه لا حاجة لنا فيك، أنت رجل إذا أُمرت بشيء فعلته لا تنظر

لدينك. فلما ولى خالد نظر عمر في قفاه فقال: اللهم يا رب إني قد وضعته لك فلا ترفعه أبدا. فما لبث إلا جمعة حتى ضربه الفالج فقتله[1].

وأتاه الفرج من عند الله تعالي:

روي أن الوليد بن عبد الملك كتب إلى صالح بن عبد الله عامله على المدينة المنورة أن اخرج الحسن بن الحسن بن علي من السجن وكان محبوسا واضربه في مسجد رسول الله خمسمائة سوط فأخرجه إلى المسجد واجتمع الناس وصعد صالح يقرأ عليهم الكتاب ثم نزل يأمر بضربه فبينما هو يقرأ الكتاب إذ جاء علي بن الحسين عليه السلام فأفرج له الناس حتى أتى الى جنب الحسن فقال يا ابن العم مالك ادع الله تعالى بدعاء الكرب يفرج الله عنك قال ما هو يا ابن العم؟ فقال لا إله إلا الحليم الكريم لا إله إلا الله العلي العظيم سبحان رب السموات ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين ثم أنصرف عنه وأقبل الحسن يكررهما فلما فرغ صالح من قراءة الكتاب ونزل قال أراه في سجنه مظلوما أخرجوه وأنا أراجع أمير المؤمنين في أمره فأطلق بعد أيام وأتاه الفرج من عند الله تعالي.

لكنك أنت لا مرحبا بك ولا أهلا:

وخطب الحجاج بن يوسف إلى عبد الله بن جعفر ابنته أم كلثوم على ألفي ألف في السر وخمسمائة ألف في العلانية فأجابه إلى ذلك وحملها إلى العراق فأقامت عنده ثمانية أشهر فلما خرج عبد الله بن جعفر إلى عبد الملك بن مروان وافدا نزل بدمشق فأتاه الوليد بن عبد الملك على بغلة ومعه الناس فاستقبله ابن جعفر بالترحيب فقال له

(1) إبراهيم البيهقي، المحاسن والمساوئ، 184/1، 190، 220.

الوليد لكنك أنت لا مرحبا بك ولا أهلا قال مهلا يا ابن أخي فلست أهلا لهذه المقالة منك قال بلى والله وبشر منها قال وفيم ذلك؟ قال لأنك عمدت إلى عقيلة نساء العرب وسيدة نساء بني عبد مناف فعرضتها عبد ثقيف يتفخذها بتفخذ قال وفي هذا عتبت علي يا ابن أخي؟ قال نعم فقال عبد الله والله ما أحق الناس أن لا يلومني في هذا إلا أنت وأبوك لأن من كان قبلكم من الولاة كانوا يصلون رحمي ويعرفون حقي وإنك وأباك منعتماني رفدكما حتى ركبني الدين أما والله لو أن عبدا حبشيا مجدعا أعطاني بها ما أعطاني عبد ثقيف لزوجتها منه إنما فديت بها رقبتي فما راجعه كلمة حتى عطف عنانه ومضى حتى دخل على عبد الملك فقال ما لك يا أبا عباس؟ قال إنك سلطت عبد ثقيف وملكته حتى تفخذ نساء بني عبد مناف فأدركت عبد الملك غيرة فكتب إلى الحجاج يقسم عليه أن لا يضع كتابه من يده حتى يطلقها ففعل قال ولم يكن يقطع الحجاج عنها رزقا ولا كرامة يجريها عليها حتى خرجت من الدنيا وما زال واصلا لعبد الله بن جعفر حتى مات وما كان يأتي عليه حول إلا وعنده عير مقبلة من عند الحجاج عليها أموال وكسوة وتحف [1].

ما أردت إلى عجوزنا هذه؟!:

وقال المدائني لما أهديت بنت عقيل بن غلفة إلى الوليد بن عبد الملك ابن مروان بعث مولاه له لتأتيه بخبرها قبل أن يدخل بها فأتتها فلم تأذن لها أو كلمتها فأحفظتها فهشمت أنفها فرجعت اليه فأخبرته فغضب من ذلك فلما دخل عليها قال ما أردت إلى عجوزنا هذه؟!

(1) شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، 1986، 157/2، 482.

قالت أردت والله إن كان خيرا- أن تكون أول من لقى بهجته وإن كان شرا- أن تكون أول من ستره.

انا اشترطنا على الحمالين الرجعة فما رأيك:

قال المدائني: تزوج الوليد بن عبد الملك في خلافته تسع سنين ثلاثا- وستين امرأة يطلق ويتزوج حتى تزوج عاتكة بنت عبد الله بن مطيع فلما دخل بها وأراد أن يقوم أخذت بثوبه فقال لها ما تريدين قالت أنا اشترطنا على الحمالين الرجعة فما رأيك قال تقيمين وأمسكها أربعة أشهر ثم طلقها [1].

تصحيف أفضى إلى مضرة:

كتب الوليد بن عبد الملك إلى والي المدينة: أحص من قبلك من المخنثين، فوضعت نقطة على الحاء فقرأ الكاتب أخص، فقال العامل: لعله أحص، فقال الكاتب: على الحاء نقطة كسهيل فخصى جماعة منهم، ولكل واحدة نادرة.

غلبتني لعنك الله!:

قال الوليد بن عبد الملك لبديع المغني: خذ بنا في الأماني فلأغلبنك. فقال: والله لا تغلبني فيها أبدا- إني أتمنى كفلين من العذاب، وإن يلعنني الله لعنا- يشن على من خلفي ومن قدامي أتتمنى مثله؟ فقال: غلبتني لعنك الله!

لو ركبت الأشهب لم يعثر بك:

وكان البراء بن قبيصة صاحب شراب، فدخل على الوليد بن عبد الملك وبوجهه أثر فقال: ما هذا؟ قال: ركبت فرسا- أشقر فكبا بي. فقال: لو ركبت الأشهب لم يعثر بك. فعرض بأنه شرب الخمر ولو شرب اللبن لما سقط.

(1) ابن طيفور، بلاغات النساء، ص59، 61، 66،.

الحقي بأهلك:

كانت بنت سعيد بن العاص عند الوليد بن عبد الملك فلما مات عبد الملك لم تبكه، فقال لها الوليد: ما يمنعك من البكاء على أمير المؤمنين ولا مصيبة أجل من فقده؟فقالت: ما أقول استزيد الله في سلطانه حتى يقتل لي أخا- آخر. فقال: أي والله لقد كسرنا ثناياه وقتلناه. قالت: لقد علمت من شقت استه بالملمول قال: الحقي بأهلك. قالت: ألذ من الرفاه والبنين.

قد وصلت وأنت أحمق أحمق والسلام:

كتب معاوية بن مروان إلى الوليد بن عبد الملك: بعثت إليك بقطيفة خز أحمر أحمر. فكتب إليه: قد وصلت وأنت أحمق أحمق والسلام[1].

مواقف بين خالد بن يزيد بن معاوية والوليد بن عبد الملك :

خالد بن يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان. الأمير أبو هاشم الأموي: كان من رجالات قريش المتميزين بالفصاحة والسماحة وقوة المارضة، علامة خبيرا- بالطب والكيمياء شاعرا-. قال الزبير بن مصعب: كان خالد بن يزيد بن معاوية موصوفا- بالعلم حكيما- شاعرا-. وقال ابن أبي حاتم: كان خالد من الطبقة الثانية من تابعي أهل الشام. وقيل عنه: قد علم علم العرب والعجم. روى خالد الحديث عن أبيه وعن دحية بن خليفة الكلبي - رضي الله عنه - وروى عنه الزهري وغيره. وأخرج البيهقي والخطيب البغدادي والعسكري

(1) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 44/1، 207، 311، 141، 147.

والحافظ بن عساكر عنه عدة أحاديث. وكان إذا لم يجد أحدا- يحدثه حدث جواريه، وكان من صالحي القوم، وكان يصوم الجمعة والسبت والأحد. وكان يقول: كنت معنيا- بالكتب، وما أنا من العلماء ولا من الجمال. وكان خالد جوادا- ممدحا- جاءه رجل فقال له: إني قد قلت فيك بيتين ولست أنشدهما إلا بحكمي، فقال له قل، فقال:

سألت الندى والجود حران أنتما :: فقالا بلى عبدان بين عبيد

فقلت ومن مولاكما فتطاولا علي وقالا خالد بن يزيد

فقال له تحكم. فقال: مائة ألف درهمٍ، فأمر له بها. وكان خالد شجاعا- جريئا- وكان بينه وبين عبد الملك ابن مروان مناظرات، تهدده عبد الملك مرة- بالسطوة والحرمان فقال له: أتهددني ويد الله فوقك مانعة، وعطاؤه دونك مبذول؟ وأجرى أخوه عبد الله بن يزيد الخيل مع الوليد بن عبد الملك فسبقه عبد الله، فدخل الوليد على خيل عبد الله فنقرها ولعب بها فجاء عبد الله إلى أخيه خالدٍ فقال: لقد هممت اليوم بقتل الوليد بن عبد الملك، فقال له خالد: بئس ما هممت به في ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين، قال: إنه لقى خيلي فنفرها وتلاعب بها، فقال له خالد: أنا أكفيكه فدخل خالد على عبد الملك وعنده الوليد وقال له أمير المؤمنين: إن الوليد بن أمير المؤمنين لقي خيل ابن عمه عبد الله فنرها وتلاعب بها فشق ذلك على عبد الله. فقال عبد الملك: إن الملوك إذا دخلوا قرية- أفسدوا وجعلوا أعزة أهلها أذلة-، وكذلك يفعلون. فقال له خالد: وإذا أردنا أن نهلك قرية- أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا-. فقال له عبد الملك: أما والله لنعم المرء عبد الله على لحن فيه. فقال له خالد: أفعلى الوليد تعول مع اللحن. فقال عبد الملك إن يكن الوليد لحانا- فأخوه

سليمان. قال خالد: وإن يكن عبد الله لحانا- فأخوه خالد. فقال عبد الملك: مدحت والله نفسك يا خالد. قال: وقبلي والله مدحت نفسك يا أمير المؤمنين، قال: ومتى؟ قال: حين قلت أنا قاتل عمرو بن سعيدٍ، حق والله لمن قتل عمرا- أن يفخر بقتله، قال: أما والله لمروان كان أطولنا باعا-، قال: أما إني أرى ثأري في مروان صباح مساء، ولو أشاء أن أديله لأدلته؟ قال ما أجرأك علي يا خالد خلني عنك. قال لا والله، قال الشاعر:

ويجر اللسان من أسلات ال ⁝ حرب ما لا يجر منها البنان

فقال عبد الملك: يا وليد أكرم ابن عمك، فقد رأيت أباه يكرم أباك، وجده يكرم جدك [1].

وكشفت لي عن عورة من عوراتك:

كان الوليد بن عبد الملك يلعب بالحمام؛ فخلا لذلك يوما-، واستؤذن لنوفل بن مساحق، فأذن له، فلما دخل قال: خصصتك بالإذن دون الناس. فقال: ما خصصتني ولكن خسستني، وكشفت لي عن عورة من عوراتك.

أتريد أن تقتص أوتارك من الناس بي؟

جاء رجل إلي الوليد بن عبد الملك فقال: أن فلانا- نال منك. قال: أتريد أن تقتص أوتارك من الناس بي؟.

فما رأيك؟

قال ابن عياش: تزوج الوليد بن عبد الملك ثلاثا- وستين امرأة، وكان أكثر ما يقيم على المرأة ستة أشهر، وكان فيمن تزوج ابنة عبد الله بن مطيع العدوي، وكانت جميلة ظريفة، فلما أهديت إليه قال

(1) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 455/1.

لسماره الذين كانوا يسمرون عنده: لا تبرحوا - وإن أبطأت - حتى أخرج إليكم. ودخل بها وانتظروه حتى خرج إليهم في السحر وهو يضحك. فقالوا: سرك الله يا أمير المؤمنين. فقال: ما رأيت مثل ابنة المنافق. يعني عبد الله بن مطيع - وكان ممن قتل مع ابن الزبير، وكان بنو مروان يسمون شيعة ابن الزبير: المنافقين - لما أردت القيام أخذت بذيلي وقالت: يا هذا؛ إنا قد اشترطنا على الجمالين الرجعة. فما رأيك؟ فأعجب بها وأقام عليها ستة أشهر ثم بعث إليها بطلاقها.

يا ليته بقي حتى يقتل أخا- لي آخر كعمرو بن سعيد:

كانت آمنة بنت سعيد بن العاص عند الوليد بن عبد الملك، فلما مات عبد الملك سعت بها إحدى ضراتها إلى الوليد. وقالت: لم تبك على عبد الملك كما بكت نظائرها. فقال لها الوليد في ذلك فقالت: صدق القائل لك أكنت قائلة: يا ليته بقي حتى يقتل أخا- لي آخر كعمرو بن سعيد[1].

ليعلم أن في الدنيا من هو أعظم مصيبة منه:

قال المدائني: أتي الوليد بن عبد الملك برجل من عبس، فسأل عن حاله وذهاب عينه فقال: ما كان في الأرض يا أمير المؤمنين عبسي أكثر مالا- مني وولدا-، فأتى السيل ليلا- فلم يبق لي مالا- ولا أهلا- ولا ولدا إلا بنيا صغيرا- وبعيرا-، فحملت الصبي، وند البعير فوضعت الصبي وتبعته فنفحني برجله ففقأ عيني، فجرعت إلى ابني فإذا الذئب يلغ في دمه، فقال الوليد: اذهبوا به إلى عروة بن الزبير ليعلم أن في الدنيا من هو أعظم مصيبة منه [2].

(1) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1424 هـ - 2004 م، 128/2، 38/3، 46/4، 48.

(2) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 265/1.

أتعرف هذا يا جرير؟

روى أن جريرا- دخل على الوليد بن عبد الملك وعنده عدي بن الرقاع العاملي - ولم يكن جرير رآه من قبل ذلك - فقال الوليد: أتعرف هذا يا جرير؟ فقال: لا يا أمير المؤمنين، فقال: هو ابن الرقاع، فقال جرير: شر الثياب الرقاع، فمن هو؟ قال: هو رجل من عاملة، فقال جرير: هو من الذين قال الله فيهم: " عاملة ناصبة تصلى نارا- حامية ". قال: ويلك يا ملعون! فأنشأ جرير يقول:

يقصر باع العاملي عن الندى :: ولكن أير العاملي طويل

فابتدر عدي فقال:

أأمك يا ذا أخبرتك بطوله :: أم أنت امرؤ لم تدر كيف تقول!

فقال جرير: امرؤ لم أدر كيف أقول. فوثب عدي فأكب على رجل الوليد يقبلها ويقول: أجرني منه يا أمير المؤمنين. فالتفت الوليد إلى جرير وقال: وتربة عبد الملك لئن هجوته لألجمنك ولأسرحن عليك ولأطيفنك بدمشق. فيعيرك الشعراء بذلك، فخرج جرير فصنع قصيدته التي أولها:

حي الهدملة من ذات :: فالحنو أصبح قفرا- غير المواعيس : مأنوس

افتخر فيها بنزار وعدد أيامهم، وهجا قحطان، وعرض بعدي ولم يسمه، فقال:

أقصر فإن نزارا- لا يفاخرهم :: فرع لئيم وأصل غير مغروس
وابن اللبون إذا مالز في قرنٍ : لم يستطع صولة البزل

القنـــــــــــــــاعيس [1]

حاجتك؟

أصابت أهل البادية قحمة شديدة فخرج الفرزدق إلى الوليد بن عبد الملك وامتدحه بقصيدة فيها:

وكم من مناد والشريفان دونه ... إلى الله يشكو والوليد مفاقره
وقالوا أغثنا إن بلغت بدعوة ... لنا عند خير الناس إنك زائره

فقال له الوليد: حاجتك؟ قال: تملأ لي إبلا قمحا، وإبلا زيتا، وإبلا دراهم، فأفرقها في أهل البوادي، من بابك إلى اليمامة، وتكتب إلى عمالك كلما نفد منها شيء أعيد لي؛ ففعل، فقسم الفرزدق ذلك حتى انتهى إلى اليمامة [2].

* * *

(1) ابن ظافر الأزدي، بدائع البدائع، ص2.
(2) الزمخشري، ربيع الأبرار، 67/1.